مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧١/١٠/٢٠

حـــول مباحثـــات الرئيس الســـادات فى موســـكو

الخط المســـتقيم .. أقصر الخطـوط

من نقطة «تشخيص المشكلة» .. الى نقطة «الاتفاق على علاجها»

جاءت زيارة الرئيس انـــور الســـادات الاخيرة الى موسكو ـــ وهى الثانية منـــذ توليـــه مسئولياته الدستورية ، والاولى بعد احداث مايو ١٩٧١ ـــ فى وقتها تماما . بمعنى ان لقـــاء مباشرا بين القاهرة وموسكو ، كان ـــ دون تورط فى اية مبالغة ـــ اكثر من ضرورة . وذلك قبل وداع عام ١٩٧١ بكل ما تفجر فيـــه من ايجابيات وسلبيات ، سواء فى اطار مصر او الوطن العربى او العلاقات العربيـــة السوفيتية او مواجهة العدوان الاسرائيلى ـــ الامـــبريالى ـــ سياسيا وعسكريا .

وحمل الرئيس معه مفتاحا صحيحا الى قلب وعقل موسكو ، هو صراحته • وذلك باقصى ما يمكن ان تحمله هذه الكلمة من معان تتخطى الاساليب التقليدية للدبلوماسيات بين رؤساء الدول • وفتحت موسكو قلبها وعقلها بترحاب لرئيس الاتحاد الاشتراكي العربي الذى يمثل تحالف قوى الشعب العاملة ولرئيس جمهورية مصر العربية وللرئيس الاول لاتحاد الجمهوريات العربية •

وبلغ عمق الصراحة فى المباحثات ، ان الطرفين حرصا منذ اللحظة الاولى ، تقديرا لمسئولياتهما ، على التخلى عن كل قيود المجاملات

ومن هنا يمكن ان يقال ان المباحثات اعتمدت سياسة: اقصر الخطوط واكثرها حسما هو الخط المستقيم بين نقطة البدء بتشخيص المشكلة ، الى نقطة الاتفاق على علاجها •

لقاء عمل بلا مجاملات

ومن أجل ذلك الغى من برنامج الزيارة جميع اجراءات المجاملات التقليدية بما فى ذلك مادب العشاء والغداء الرسمية • ولم يستثن من ذلك سوى مادبة غداء واحدة فى قصر الكرملين ، كانت ضرورية للاعلان العام عن الاتجاه الذى تسير اليه المباحثات •

واقيمت هذه المادبة فى اليوم الثانى للزيارة وبعد الجلسة الاولى للمباحثات التى استهلك الرئيس الجزء الاكبر منها فى العرض والتحليل والاجابة على اسئلة واستفسارات الزعماء السوفيت •

وفى هذه المادبة رفع بريجينيف كاسه اكثر من مرة • مرة تحية الى شعب مصر وقيادته فى نضالهما ضد العدوان الاسرائيلى الامبريالى وفى بناء المجتمع العصرى على طريق التحولات التقدمية اجتماعيا واقتصاديا ومرة تحية لوحدة الشعوب العربية ، ومرة تحية لازدهار العلاقات العربية السوفيتية •• ومرة الى القوات المسلحة المصرية درع حركة التحرر العربى والسلام القائم على العدل • واتجه بريجينيف بكاسه ناحية الفريق اول محمد صادق الذى قام برفقة المارشال جريتشكو الى حيث يقف بريجينيف على يمين السادات وكوسجين على يساره وبودجورنى فى مواجهتهم • وهنا قال الرئيس السادات : اقترح ان نحول هذا النخب الى تحية علاقات التعاون والصداقة بين القوات المسلحة السوفيتية والقوات المسلحة المصرية • فوافق بريجينيف على الفور • ولمح بريجينيف الرئيس كوسجين يشرب كاسا من الماء المعدنى بدلا من الفودكا فاستوقفه قائلا :

ـ اعلم ان الطبيب يمنعك من شرب الفودكا • ولكن هذه هى المناسبة التى يحق لك فيها أن تخالف امر الطبيب • هيا الى الفودكا ، تحية للاصدقاء •

ووافق كوسجين • وارتفع من جديد صوت بريجينيف القوى يقول موجها حديثه الى الفريق صادق :

اليوم بعد اللقاء المباشر نحيى فيك وطنيتك ومسئولياتك الكبيرة على راس جيش شعب عظيم تحت قيادة الرئيس السادات •

عمل مكثف فى وقت قصير

وبجانب هذه المباحثات الرسمية كان يجرى فى موسكو بنفس الوقت ، نوعان اخران من المباحثات تسيران على نفس المنهج وتلتزمان بخط تدعيم التحالف السوفيتى ـ العربى ضد الامبريالية والعدوان الصهيونى من ناحية ، ومن أجل البناء الاشتراكى فى مصر وفقا لظروفها الخاصة وتراثها الروحى والقومى من ناحية اخرى • ونعنى بهما مباحثات **وفد اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى** (امانة الشئون السياسية والعلاقات الخارجية) مع سكرتارية اللجنة المركزية للعلاقات الخارجية بالحزب الشيوعى السوفيتى ، ومباحثات **الوفد العسكرى المصرى** مع قيادات القوات المسلحة السوفيتية •

كما عقدت لقاءات خاصة فيما بين جلسات المباحثات الرسمية ، بين كل من الرئيس السادات والزعماء السوفيت بريجينيف وكوسجين وبودجورنى ، وكذلك بين كل من محمد عبد السلام

الزيات السكرتير الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي والرفيق بونامريوف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، وبين الدكتور عزيز صدقي وكبار المسئولين عن الصناعة والاقتصاد السوفيتي ، وبين محمود رياض وحافظ اسماعيل والدكتور مراد غالب ويحيى عبد القادر واندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتية .

وهكذا امكن خلال الوقت القصير الذى استغرقته الزيارة تغطية كل الموضوعات التي شكلت جدول اعمال المباحثات ، وايضا الموضوعات الجديدة التي اضيفت الى الجدول سواء من الجانب المصرى او الجانب السوفيتي ، والتي تتصل بكل من الخطة الاستراتيجية للبلدين فى مواجهة تحديات الامبريالية والصهيونية العدوانية بعد اربعة اعوام ونصف العام من الاحتلال الاسرائيلي المدعم بالمساندة العسكرية والاقتصادية والسياسية من الولايات المتحدة ، واهدارهما المستمر لكل فرص الوصول الى حل سلمي عادل

مكاشفة بالغة الصراحة

بيد ان هذا الاسلوب المكثف والمتعدد الجوانب من المباحثات لم يكن وحده هو الذى تغلب على مشكلة الوقت القصير المحدد للزيارة ، والذى تم اقتطاعه من برامج الالتزامات السابق تحديدها لكل من القيادتين المصرية والسوفيتية . وانما يمكن القول - وبالحاح مرة اخرى - ان المكاشفة الى اقصى حد من الصراحة والوضوح بين الجانبين كانت العامل الاساسى فى حسم ما يمكن ان يعبر عنه سياسيا ، بكل القضايا المعلقة والتي كانت تثير لدى كل من الجانبين اسئلة تبحث عن اجابات واقعية وموضوعية ، .

فلم يتحفظ الجانب المصرى - مثلا - فى ان يقول : بلغنا أنكم تقولون عنا كذا وكذا ... أو هل صحيح أنكم ترون الموقف على هذا النحو أو ذاك ؟

وبالمثل فان الجانب السوفيتي لم يتحفظ فى ان يسال : قيل لنا أن رأيكم هو كذا وكذا .. او تواترت لدينا انباء من ان موقفكم منا هو على هذا النحو أو ذاك ؟

ومن هنا طرحت على مائدة المباحثات اخطر الاسئلة عارية تماما ، حتى عن ورقة التوت الدبلوماسية .

مثلا :

● ما هو التحديد الدقيق لما اعلنه الرئيس السادات باسم شعب مصر العربية - من ان عام ١٩٧١ هو عام الحسم للقضية سلما او حربا ؟

● ما مدى صحة ما تذيعه وكالات الانباء العالمية والكواليس الدبلوماسية الدولية عن وجود تجاوب مصرى امريكي فى اطار ما يسمى بالدبلوماسية الهادئة بشأن الوصول الى حل لقضية الشرق الاوسط ؟

● ما مدى ارتباط مصر او موافقتها على الشعارات المعادية للشيوعية او للسوفيت التي ترددت اخيرا فى المنطقة

● ما هى حقيقة موقف اتحاد الجمهوريات العربية من حركة التحرر الوطني العربية بآفاقها التقدمية اجتماعيا وسياسيا من ناحية وبقضية الوحدة العربية من ناحية اخرى ؟

● ما هو موقع ووزن قضية الشرق الاوسط وبالذات فيما يتعلق باجلاء الاحتلال الاسرائيلي وضمان حقوق شعب فلسطين . من الاطار العام للاستراتيجية السوفيتية تجاه المشاكل العالمية ؟

● ما مدى الدعم السياسى والعسكرى الذى يقدمه الاتحاد السوفيتي لحركة التحرر المصرية - العربية فى مواجهة الدعم الامريكي لاسرائيل والصهيونية ؟

● المقارنة الدقيقة بين الاسلحة السوفيتية والامريكية التي تسلح بها اسرائيل ؟

● كيف يمكن المواءمة بين التزامات كل من الاتحاد السوفيتي ومصر نحو السلام العالمي ، هدف الانسانية الاول ، وبين الارادة المشروعة للشعب المصرى وبقية الشعوب العربية فى تحرير اراضيها المحتلة ؟

● ما هى الاساليب العملية ، او على على حد التعبير الذى استخدم ، الميكانزم

الفعال، لتنفيذ معاهدة الصداقة والتعاون تنفيذا مثمرا فى جميع المجالات !

نتائج ايجابية تماما

ومن خلال الاجابات المتبادلة حول الاسئلة العارية عن ورقة التوت الدبلوماسية . يمكن القول باطمئنان عميق ، ان الطرفين توصلا الى نتائج محددة . ويخطىء فى الحساب خطأ فادحا من لا يضع هذه النتائج بوزنها الحقيقى فى تقديره للموقف الراهن .

ولعل فى مقدمة هذه النتائج ، اكتشاف الطرفين حرص كل منهما باخلاص على استمرار وتعميق الصداقة السوفيتية العربية . وأنها من القوة بحيث أمكنها الصمود لكل ما واجهته من اختبارات . والاصرار على التعاون المشترك لدرء كل محاولة للنيل منها وذلك خدمة لفاعلية التحالف بين المعسكر الاشتراكى بقيادة الاتحاد السوفيتى وبين حركة التحرر العربية ضد الامبريالية والصهيونية

كذلك فقد انتهى الطرفان الى اقرار أن نقص تبادل المعلومات بصورة منتظمة بين الطرفين يسمح لاعدائهما فى ترويج معلومات مشوهة عن موقف كل منهما تجاه الاخر . وان جهدا مشتركا يجب أن يبذل لضمان استمرار تبادل المعلومات الصحيحة والحقائق على مستوى القنوات الحكومية الرسمية والقنوات التنظيمية بين الاتحاد الاشتراكى العربى والحزب الشيوعى السوفيتى .

ومن بين النتائج الهامة التى تكشفت عنها المباحثات أن ما وقع فى مصر من احداث خلال شهر مايو الماضى لا يعدو أن يكون حدثا داخليا بحتا . وأن المحاكمات التى جرت نتيجة هذا الحدث هى محاكمات لتصرفات فردية وليست محاكمة لاتجاه . وأن مصر بقيادة السادات تواصل مسيرتها التحررية والتقدمية دون توقف ، مستندة الى ميثاق العمل الوطنى وبرنامج ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى . وذلك على نفس الطريق الذى بداه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

وتوصل الطرفان أيضا الى أن قضية انهاء الاحتلال الاسرائيلى هى أولا وقبل كل شىء معركة الشعب المصرى وبقية الشعوب العربية . وتعتمد بالدرجة الاولى على تعبئة القوى الشعبية من خلال وحدة وطنية ملتحمة مع القوات المسلحة . تعززها ثقة المقاتل فى شعبه وقيادته وأهدافه النضالية وسلاحه .

واخيرا ـ وليس آخر ـ فان من أهم النتائج التى تبلورت عنها المباحثات انه لا يوجد تعارض أساسى بين استراتيجية مصر الشاملة لتحرير الارض المحتلة وبين الاستراتيجية الدولية للاتحاد السوفيتى .

ولعل فى هذا كله ما يفسر حقيقة واقعة ، وهى أن البيان المشترك الذى صدر عن المباحثات فى ١٣ اكتوبر ١٩٧١ ، يعد من اقوى البيانات التى صدرت عن مباحثات مصرية ـ سوفيتية منذ عدوان ١٩٦٧ . ويمكن ان نلحظ ذلك من خلال عبارات خاصة تمت بدقة ، تؤكد المعنى العميق التى تختزنه كلماتها .

فلا يكتفى البيان مثلا بالعبارة التقليدية التى تقول : « وقد جرت المباحثات والمفاوضات فى جو من الود والصداقة والتفاهم التام .. » ، وانما يضيف : « .. وهو الطابع الذى تتسم به اجتماعات القادة السوفيت والسيد الرئيس انور السادات » .

ويؤكد البيان على كشفه للخطط الامريكية ـ الاسرائيلية لاشاعة مناخ كاذب عن وجود أساس لحل مصرى ـ أمريكى فيسجل بعد استماعه لعرض الرئيس السادات وايضاحات محمود رياض عن مقابلاته الاخيرة مع روجرز وزير خارجية أمريكا بانه « تم تبادل الاراء بشكل مفصل فى قضية الشرق الاوسط والقضايا الدولية الراهنة التى تهم الطرفين » . ولا يقف البيان عند هذا الحد بل يقرر بوضوح وحسم : « اتفاق وجهتى نظر الطرفين فى تقييم الوضع المتوتر الراهن فى الشرق الاوسط .. وان السبب الرئيسى لاستمرار خطورته هو سياسة اسرائيل التوسعية والتى تدعمها الولايات المتحدة الامريكية بتقديمها جميع انواع المساعدات اليها » .

والحق ان قراءة واقعيه وواعيه للبيان ، تستلهم جو الصراحة الذى ساده مبدأ ان « اقصر الخطوط بين نقطتين هو الخط المستقيم » لا نخطىء التقدير للمدلول الحقيقى الذى تعلن عنه كلمات البيان فى فقرات محددة متعاقبة ، وكانها تنفخ فى نفير التحذير للامبريالية والصهيونية تتراوح حدتها من « استمرار الاتحاد السوفيتى فى تقديم كل المساعدات والتاييد لمصر والدول العربية الاخرى فى نضالها العادل .. » الى الاشادة « بموقف مصر الحازم تجاه الاعمال الاستفزازية الاستعمارية الصهيونية وعزمها الاكيد على انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ هو الحاجز المنيع ضد تحقيق الخطط الموجهة ضد مصالح العرب الشرعية »

وتبلغ نغمة التحذير ذروتها فى البيان حينما تعلن بتحديد واضح لا يترك مجالا لاى لبس : « وبالنظر لخطورة الموقف فى الشرق الاوسط الناتج عن استمرار اسرائيل فى سياستها العدوانية ، تبادل الجانبان الاراء حول اتخاذ خطوات مشتركة فى المستقبل من اجل ازالة اثار العدوان الاسرائيلى وتامين السلام العادل وتحقيق الامن فى هذه المنطقة . وقد تم بصفة خاصة الاتفاق على الاجراءات الرامية الى استمرار تدعيم قدرة مصر العسكرية » .

ومن هنا فان القول بان مباحثات اكتوبر جاءت « فى وقتها تماما » يعبر عن حقيقة ان العلاقات العربية السوفيتية لم تتخط فحسب بركة المياه العكرة الاسنة بل تقدمت بخطوات نوعية جديدة الى الامام . ومن أجل ذلك وصفها البيان بانها « مرحلة جديدة وهامة من أجل توسيع وتعميق علاقات الصداقة بين الاتحاد السوفيتى وجمهورية مصر العربية وبين الحزب الشيوعى السوفيتى والاتحاد الاشتراكى العربى » .

وكنت قد تخلفت فى موسكو - مع وفد الاتحاد الاشتراكى - بعد انتهاء المباحثات الرسمية وعدت على نفس الطائرة التى اقلت الفريق صادق والوفد العسكرى سألته : هل انت راض عن مباحثاتك ؟ أجاب بنفس مطمئنة « الحمد لله .. الحمد لله .. الحمد لله » . وابتسم معه أعضاء الوفد العسكرى .

وكانت عودتنا الى الوطن بعد ظهر يوم السبت الذى استمعت فيه اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى خلال اجتماع خاص الى تقرير الرئيس عن رحلته . وحينما قرأت فى البيان الذى أدلى به السكرتير الاول للجنة المركزية عن الاجتماع أن الرئيس اعلن « اننا نستطيع أن ندخل على المرحلة المقبلة بكل الوضوح وبكل الامل فى النصر » فهمت بدقة ما فهمته منه « فى موسكو » بان معركتنا ضد الامبريالية والاحتلال الاسرائيلى تعتمد اولا واخيرا على تفاعل خصب واضح بين الارادة الشعبية المناضلة وارادة القوات المسلحة القتالية من خلال تحالف استراتيجى مع قوى الشعوب المحبة للحرية والسلام وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى اخلص واقوى الحلفاء .

نعم .. كان صوت السادات هو هو فى موسكو وفى القاهرة معا . ■

لطفى الخولى